

وأما القِيَافَةُ فهي: معرفة الآثار<sup>(١)</sup>، وهي لا توجد إلا في الفُطْناء من العرب. وكانت كلُّ قبيلةٍ مخصوصة بشيء، فلبعضهم الكَهانة، ولبعضهم الزَّجر والفأل، ولبعضهم القافَّة، والشَّبه يكون في القدم غالباً. وكانت القِيافة في مُضر وربيعة وأنمار وأولاد نزار، وكذا في إِياد ومُدَجج، وهم اليوم بالحجاز وتَهامة، وبالجناب بين مصر والشام.

### فصل

وقد كان لهم العَدْوَى، والطَّيْرَةَ، والصَّفْرَ، ثم انتسخ الجميع بقوله ﷺ: «لا عدوى، ولا طَيْرَةَ، ولا هامة، ولا صَفْرًا»<sup>(٢)</sup>.

### فصل في أطعمة العرب

منها البَسِيْسَة، وهي كلُّ شيءٍ خَلَطْتَه بغيره من غير طَبَخ. ومنها البَكِيْلَة، وهي أن يُخلط السَّويق بماء وتمر. ومنها الحُرْس، وهي طعام الولادة. والإعذار: طعام الختان للجارية والغلام. والنَّقِيْعَة، طعام القادم من السَّفَر. ومنها الحريرة، وهي أن تُنصَب القَدْر، ويُقَطَّع اللَّحْمُ صِغاراً على ماء كثير، فإذا نَضِحَ دُرٌّ عليه الدَّقِيق، وإن لم يكن فيها لَحْمُ فهي عَصِيْدَة<sup>(٣)</sup>. ومنها الرِّيْبِكَة، وهي تَمْرٌ يُعَجَّنُ بِسَمْنٍ وَأَقِط، وفي المثل: عَرْتَانُ فَارُبُكُوا لَه، لأنَّ أعرابياً أتى أهله، فَبَشَّرَ بِغُلامٍ وُلِدَ لَه، فقال: ما أَصْنَعُ بِهِ، أَكُلُه أم أَشْرِبُه؟ فقالت امرأته: عَرْتَانُ فَارُبُكُوا لَه، أي: جَائِعٌ فَأَطْعِمُوهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) الصحاح (عيف، قيف).

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٢٠)، والبخاري (٥٧١٧)، ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر العقد ٦/٢٩١-٢٩٢، وإصلاح المنطق ٣٨٣، وفقه اللغة ٤٥٠، ٤٥٤، ٤٥٥.

(٤) إصلاح المنطق ٣٨٢-٣٨٣، والصحاح (ربك)، وفقه اللغة ٤٥٣، والمثل في جهرة الأمثال ٨٢/٢، ومجمع

الأمثال ٥٦/٢.

ومنها الرَّغِيْدَة، وهي اللَّبْنُ الحَلِيب، يُغلى ويُدْرُّ عليه دَقِيق، ثم يُسَاط ويُعَقُّ لَعَقًا<sup>(١)</sup>.

ومنها السَّخِينَة، وهو خَلَطُ الدَّقِيقِ بالماء لا غير، وكانت قريش تُعَيِّرُ بها<sup>(٢)</sup>.

ومنها السُّلْفَة، وهو ما يَتَعَجَّلُهُ الرَّجُلُ مِنَ الطَّعَامِ قَبْلَ العَدَاءِ.

ومنها الصَّفِيف، وهو ما صُفِّ مِنَ اللِّحْمِ عَلَى الجَمْرِ لِيُشْوَى<sup>(٣)</sup>.

ومنها العَيْيْثَة، وهي اللَّبْنُ يُطْبَخُ وَيُلْقَى فِيهِ الجَرَادُ، وقيل هو: الأَقِطُ لا غير<sup>(٤)</sup>.

ومنها العَصِيدَة، وهي ما يُعَصَّدُ بِالمِسْوَاطِ مِنَ الدَّقِيقِ<sup>(٥)</sup>.

ومنها العَقِيْقَة، وهي الشَّاةُ الَّتِي تُذْبَحُ عَنِ المَوْلُودِ يَوْمَ أُسْبُوعِهِ<sup>(٦)</sup>.

ومنها العَلِيْث، وهو الطَّعَامُ المَخْلُوطُ بِالشَّعِيرِ<sup>(٧)</sup>.

ومنها الفَرِيْقَة<sup>(٨)</sup>، وهي تَمْرٌ يُطْبَخُ بِحُلْبَة لِلتَّنْقَسَاءِ.

ومنها العَكِيس، وهو الدَّقِيقُ يُصَبُّ عَلَيْهِ المَاءُ ثُمَّ يُشْرَبُ<sup>(٩)</sup>.

ومنها اللَّفِيْثَة، وهي العَلِيْظَة مِنَ العَصَائِدِ<sup>(١٠)</sup>.

ومنها المَأْدُبَة، وهو كُلُّ طَعَامٍ يُصْنَعُ لِدَعْوَة<sup>(١١)</sup>.

(١) إصلاح المنطق ٣٩٢، والصحاح (رغد)، والعقد ٦/٢٩٢، وفقه اللغة ٤٥٢.

(٢) العقد ٦/٢٩٢، وانظر إصلاح المنطق ٣٥٦، وفقه اللغة ٤٥١.

(٣) الصحاح (سلف)، والعقد ٦/٢٩٢.

(٤) العقد ٦/٢٩١، وإصلاح المنطق ٣٤٦، وفقه اللغة ٤٥٤.

(٥) إصلاح المنطق ٣٩٣، والصحاح (عصد).

(٦) العقد ٦/٢٩٢، وانظر الصحاح (عقق)، وفقه اللغة ٤٥٠، وإصلاح المنطق ٢٦٣.

(٧) العقد ٦/٢٩١.

(٨) في النسخ: الفريعة، وهو خطأ، انظر إصلاح المنطق ٣٤٤، والصحاح (فرق)، والعقد ٦/٢٩١، وفقه اللغة ٤٥٢، والنهاية ٣/٤٤٠، والجرائم ١/٣٢٢، والغريب المصنف ١/٩٠.

(٩) العقد ٦/٢٩٢، والغريب المصنف ١/٩٠، والجرائم ١/٣٢٢.

(١٠) إصلاح المنطق ٣٤٧، والصحاح (لفت)، وفقه اللغة ٤٥٧.

(١١) الغريب المصنف ١/٨٦، والجرائم ١/٣١٥، والعقد ٦/٢٩٢، وفقه اللغة ٤٥٠، وانظر إصلاح المنطق

١٣٤، والصحاح (أدب).

ومنها الوشيقّة، وهو أن يُغلى اللحمُ، ثم يُقَدَّد ويُحمَل في الأسفار<sup>(١)</sup>.  
ومنها الوكيرة، وهو طعام ما بينه<sup>(٢)</sup> الرَّجُلُ في داره. والوليمة: طعامُ العُرس.  
ومنها الهريسة، وهي أفخر طعامهم، سُميت بذلك لأنها تهرسُ اللحم<sup>(٣)</sup>.

## فصل

### في ذكر مَنْ كان في الفترة بين عيسى ﷺ ونبينا ﷺ

كان في الفترة جماعةً من أهل التّوحيد ممّن يُقرُّ بالبعث والنُّشور، والجنة والنار، وكان بعضهم دُعاة إلى الله تعالى، وبعضهم أنبياء، فمنهم:

جرجيس: كان عبداً صالحاً من أهل فلسطين، أدرك بعضَ الحواريين من أصحاب عيسى عليه السلام، وكان تاجراً، يكتسب ما يستغني به، ويعود بالفضل على المساكين، فسافر إلى الموصل وبها جبار يُجبرُ النَّاسَ على عبادة الأصنام، فوعظه، فأخذه وعذبه بأنواع العذاب، وقتله عدّة قتلات فلم يمّت، فبعث الله إليه ملكاً، فقال له: لا تخف، فإنك تبقى في جهاده سبع سنين، ويقتلك مرّةً رابعة.

فجعل في تورٍ من نحاس، وحشاه نفظاً وكبريتاً، وأدخله فيه، وأوقد عليه، فاختلطت عظامه، وبعث الله جبريل، فحمل التور فألقاه بين السماء والأرض، فخرج جرجيس حياً، فقال: يا إلهي، قد وعدتني منازل الشهداء، وأكرممتني بهذا البلاء، وهذا آخر يومي الذي وعدتني فيه الراحة، فأسألك أن تقبض روعي، وتُنزل عُقوبتك بهذا الجبار، فما استتمّ كلامه حتى نزلت نارٌ من السماء، فلما رأوها مالوا عليه فضربوه بالسيف حتى قتلوه.

وأحرق الله الجبارَ وقومه والموصل، فصارت رماداً مُنتناً، وجعل الله عاليها سافلها، ولبثت زماناً يخرج منها الدُّخان المُنتن، وخرج من آمن بجرجيس منها،

(١) الغريب المصنف ١/٨٦، والجرائم ١/٣١٧، والصحاح (وشق)، والعقد ٦/٢٩٠.

(٢) في النسخ: الوديرة... ما يبثه، وهو خطأ، انظر الغريب المصنف ١/٨٦، وإصلاح المنطق ٣٨٤، والجرائم

١/٣١٥، والصحاح (وكر)، والعقد ٦/٢٩٢، وفقه اللغة ٤٥٠.

(٣) العقد ٦/٢٩١، والصحاح (هرس).

وكانوا أربعةً وثلاثين ألفاً<sup>(١)</sup>.

ومنهم: حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ، نَبِيُّ أَصْحَابِ الرَّسِّ، كان في الفترة، وهو من ولد إسماعيل عليه السلام، قام في قومه خطيباً، فنهاهم عن عبادة الأوثان، وأمرهم أن يعبدوا الله ويؤخّذوه، فقتلوه، ورَمَوْه في بئر، فلما قتلوه ألهم الله بعض الملوك، فسار إليهم فقتلهم، وشردّهم، وفعل برؤسائهم كما فعلوا بحَنْظَلَةَ، فلم يَبْقَ لهم أثر<sup>(٢)</sup>.

ومنهم: خالد بن سنان بن غَيْثِ الْعَبْسِيِّ، كان عبداً صالحاً، وأكثر العلماء على أنه كان نبياً على دين المسيح عليه السلام، وظهرت نارٌ بين مكة والمدينة، فعبدها طوائفٌ من العرب، فأتاها خالد، فاقتحمها، فأطفأها غَضَباً لله، لثلاثِ تَعَبَدٍ معه، ولما عَزَمَ على دخولها، قال: [كُلُّ هَذِي مُؤَدَّى إِلَى اللَّهِ الْأَعْلَى، لِأَدْخَلْتَهَا وَهِيَ تَلْظَى، وَلَا أُخْرِجَنَّ مِنْهَا وَثِيَابِي تَنْدَى، فَكَانَ كَمَا قَالَ.

ولما احتضر قال: ادفنوني في حِقْفٍ مِنْ هَذِهِ الْأَحْقَافِ، واحرُسُونِي أَيَّاماً، فإذا رأيْتُمْ حماراً أشهبَ أبتَرِ يدور حول الحِقْفِ فانْبُشُونِي، وأحضِرُوا كاتباً يَكْتُبُ ما أقول، فإني سأخبركم بالكائنات والمغيبات إلى يوم البعث، فرصدوا قبره ثلاثاً، فجاء الحمار فدار حول الحِقْفِ، فاجتمع قومه لينبشوه، فقام بنوه، وشهروا سُيوفهم وقالوا: نخاف العار فتركوه، فقال شاعر: [من الطويل]

بني خالدٍ لو أنكم إذ حَضَرْتُمْ نَبَشْتُمْ عَنِ الْمَيْتِ الْمُعَيَّبِ فِي الْقَبْرِ  
لَأَبْقَى لَكُمْ فِي آلِ عَبْسٍ ذَخِيرَةً مِنْ الْفَضْلِ لَا تَبْلَى عَلَى سَالِفِ الدَّهْرِ  
ولما ظهر رسول الله ﷺ بمكة؛ وَفَدَتْ عَلَيْهِ ابْنَةُ خَالِدِ بْنِ سِنَانَ وَهِيَ عَجُوزٌ مُسِنَّةٌ  
كَبِيرَةٌ، فَرَحَّبَ بِهَا وَقَالَ: «مَرْحَباً بِابْنَةِ أَخِي خَالِدٍ، كَانَ أَبُوهَا نَبِيًّا، وَإِنَّمَا ضَيَّعَهُ  
قَوْمُهُ»<sup>(٣)</sup>، وسمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]

(١) ذكر القصة مختصرة المسعودي في مروج الذهب ١/١٢٧، ومطولة الطبري ٢/٣٦-٢٤، والشعبي في عرائس المجالس ٤٣٨-٤٣٢، وابن الجوزي في المنتظم ٢/١٤٨-١٤٩.

(٢) مروج الذهب ١/١٢٥.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/٢٠٠، وابن شبة في أخبار المدينة ٤٢١ عن سعيد بن جبيرة، قال الحافظ في الإصابة ٣/١١٧: ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

فقلت: كان أبي يقرؤها، قال ابن عباس: وقد بشر برسول الله عليه السلام <sup>(١)</sup>.

ومنهم: رثاب بن البراء، كان على دين عيسى عليه السلام قبل مبعث النبي عليه السلام.

قال السدي: سمع الناس قائلاً يقول من السماء: خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرى الرّاهب، ورثاب الشّني، وآخر لم يجيء بعد، يعني النبي عليه السلام.

قال ابن قتيبة: لما سمع رثاب النداء قال: صدق فيما قال.

وقال وهب: ما مات أحد من ولده إلا ورأوا الثور على قبره <sup>(٢)</sup>.

ومنهم: زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى العدوي، ابن عم عمر بن الخطاب

رضي عنه <sup>(٣)</sup>.

ومنهم: صرمة بن أبي أنس، أبو قيس من بني النجار، كان قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح، وهجر الأوثان، وهمم بالنصرانية، ثم أمسك عنها، واتخذ في بيته مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب، وقال: أعبدُ إله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فلما قدم رسول الله عليه السلام المدينة أسلم في السنة الأولى من الهجرة، ولما رأى رسول الله عليه السلام قال: يا قوم، هذا الذي كنت أنتظرونه <sup>(٤)</sup>.

ومنهم: قس بن ساعدة.

ومنهم: أصحاب الكهف والرقيم، قال سعيد بن جبير: الرقيم: لوح من ذهب على باب الكهف، فيه مكتوب أسماء الفتية وقصتهم.

وقال ابن عباس: الرقيم: واد بين عسفان وعمان البلقاء، فيه أصحاب الكهف.

قال مجاهد: كانوا من أولاد الملوك.

قال وهب: كان من قصتهم أنه لما رفع عيسى عليه السلام، وكثرت الأحداث،

(١) ذكر قصته مطولة ومختصرة ابن قتيبة في المعارف ٦٢، والجاحظ في الحيوان ٤/٤٧٦-٤٧٧، وابن شبة في أخبار المدينة ٤٢٠-٤٣٣، والمسعودي في مروج الذهب ١/١٣١-١٣٢ وما بين معكوفين منه ٤/٢١-٢٢، وابن الجوزي في المنتظم ١٤٧/٢، والحافظ في الإصابة ٣/١١٧ فما بعدها.

(٢) المعارف ٥٨ وليس فيه كلام ابن قتيبة، ومروج الذهب ١/١٣٢-١٣٣.

(٣) السيرة ١/٢٢٤، والمعارف ٥٩، ومروج الذهب ١/١٣٦، والمنظّم ٢/٣٢٨.

(٤) المعارف ٦١، ومروج الذهب ١/١٤٤، وانظر الإصابة في ترجمته.

وَدُبِحَ لِلطَّوَاغِيتِ، وَعُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَفِي النَّاسِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، مُتَمَسِّكِينَ بِدِينِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ بِلَدِ الرُّومِ مَلِكٌ يُقَالُ لَهُ: دِقْيَانُوسُ، يَأْمُرُ النَّاسَ بِالذَّبْحِ لِلْأَصْنَامِ، وَيُخَيِّرُهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْقَتْلِ، وَبَلَغَهُ خَبْرُ الْفَتِيَّةِ، فَاسْتَدْعَاهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالذَّبْحِ لِلطَّوَاغِيتِ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ لَنَا إِلَهًا مَلَأَتْ عَظْمَتُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا آخَرَ، فَقَالَ دِقْيَانُوسُ: أَنْتُمْ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وَأَنْتُمْ شَبَابٌ، حَتَّى أَضْرِبَ لَكُمْ أَجَلًا تَنْظُرُونَ فِيهِ لِأَنْفُسِكُمْ، فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ.

وَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَضَى إِلَى بَلَدٍ آخَرَ لِأَمْرِ عَرَضَ لَهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اخْرُجُوا بِنَا إِلَى الْجَبَلِ، فَإِنَّ عَادَ الْمَلِكُ وَذَكَرْنَا قَتَلْنَا، فَخَرَجُوا، وَاتَّبَعَهُمْ كَلْبٌ رَاعٍ، فَطَرَدُوهُ فَلَمْ يَرْجِعْ، فَرَدُّهُ ثَانِيًا فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ وَقَالَ: لِمَ تَطْرُدُونِي؟ إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ جِنْسِكُمْ، فَمَعْبُودِكُمْ لَيْسَ مِنْ جِنْسِكُمْ، دَعُونِي أَحْرُسْكُمْ إِذَا نِمْتُمْ، فَعَجِبُوا مِنْهُ.

ثُمَّ دَخَلُوا الْكَهْفَ، وَجَعَلَ يَمْلِيخَا - أَحَدُهُمْ - يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ فَيَأْتِيهِمْ بِالطَّعَامِ، وَيَتَحَسَّسُ لَهُمُ الْأَخْبَارَ، وَقَدِمَ الْجَبَّارُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَذَكَرَهُمْ، فَجَاءَ يَمْلِيخَا إِلَيْهِمْ وَهُوَ يَبْكِي، فَأَخْبَرَهُمْ، فَخَرُّوا سُجَّدًا لِلَّهِ تَعَالَى يَبْكُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، وَذَلِكَ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، فَنَامُوا وَنَامَ الْكَلْبُ وَهُوَ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ، أَيُّ: بَعْتَبَةُ الْبَابِ.

وَجَاءَ دِقْيَانُوسُ وَرَاءَهُمْ، فَوَجَدَهُمْ فِي الْكَهْفِ، فَسَدَّ عَلَيْهِمُ الْبَابَ عِقُوبَةً لَهُمْ، وَفِي ظَنِّهِ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ أَيْقَاطُ.

وَكَانَ فِي أَصْحَابِ دِقْيَانُوسِ رَجُلَانِ عَلَى دِينِ الْفَتِيَّةِ، فَكَتَبَا أَسْمَاءَ الْفَتِيَّةِ فِي لَوْحٍ مِنْ ذَهَبٍ، وَدَفَنَاهُ عِنْدَ الْبَابِ، وَقَالَا: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُطَّلَعَ عَلَى أَحْوَالِ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ، فَيُعَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَمَاتَ دِقْيَانُوسُ، وَخَلَفَتْ الْمُلُوكُ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ وَهُمْ عَلَى حَالِهِمْ. فَقَصَّ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَخْبَارَهُمْ.

وَكَانَ سَبَبُ إِيقَاطِهِمْ أَنَّهُ مَلِكٌ تَلِكِ الْبِلَادِ مَلِكٌ صَالِحٌ، فَرَأَى اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي الْأَدْيَانِ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُرِيَهُ آيَةً يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى التَّوْحِيدِ، فَمَرَّ بِهِمْ رَاعٍ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، فَفَتَحَ بَابَ الْكَهْفِ وَأَوَى إِلَى جَانِبِهِ غَنَمَهُ.

وأيقظ الله الفتية، فجلسوا كأنهم ناموا من ساعتهم، لا يُنكرون من أحوالهم شيئاً، وهم يرون أن الملك دقيانوس، فبعثوا يمليخا إلى المدينة على عادتهم ليشتري لهم طعاماً، فتنكّر وخرج، فرأى الحجارة على باب الكهف فعجب، ورأى أثرَ البنيان، وأتى بابَ المدينة، فرأى عليها علامةً تكون للمؤمنين، ورأى أناساً لا يعرفهم، وسمعهم يحلفون بالمسيح، فقال: والله ما أدري ما هذا، عشيّة أمس ليس على وجه الأرض أحدٌ يذكر المسيح إلا قُتل، واليوم كلُّ أحدٍ يحلف به لا يخاف.

ثم دنا من واحدٍ، ودفع إليه دراهم، فنظر إليها وعجب، ثم ناولها آخر فتعجّب، فقالوا له: إنك قد وجدتَ كنزاً، وإن لم تُخبرنا به حملناك إلى الملك، وهو ساكت، فجعلوا كساءه في عنقه، وسحبوه في سبكك المدينة، وما يرى أحداً يعرفه، وهو يظنُّ أن أباه وأهله في الحياة، وأنهم يحملونه إلى دقيانوس، وجعل يبكي ويقول: فرّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما حلّ بي.

وكان على تدبير الملك رجلان صالحان: أرنوس وأنطوس، فقالا: يا فتى، أين الكنز الذي وجدت؟ فقال: والله ما وجدتُ كنزاً، قالوا: فهذه الدراهم تشهد عليك بتاريخ ضربها من زمن دقيانوس منذ ثلاث مئة سنة، وأنت شابٌ وخزائنُ هذه المدينة بأيدينا، وما فيها منها شيء، فإن أخبرتنا وإلا عدّناك، وهو يبكي ويقول: والله ما أدري ما أقول، ثم قال: وأين دقيانوس؟ قالوا: ما نعرف اليوم في الأرض ملكاً يُقال له: دقيانوس، وإنما كان هذا منذ ثلاث مئة سنة.

فقال: أصدقكم؟ كنا فتيةً أكرهنا دقيانوس على الذبح للطواغيت، فهربنا منه عشيّة أمس، ونمنا في كهف؛ فلما كان اليوم بعثوني أشتري لهم طعاماً، وهامهم في الكهف جُلوس يعبدون الله، فلما سمع أرنوس كلامه قال لهم: يا قوم، هذه آيةٌ أراكم الله إياها على يدي هذا الفتى، انطلقوا معه، وأخبروا الملك، وخرج معه الناس، وسبق يمليخا ودخل عليهم، وأخبرهم الخبر.

وجاء أرنوس فدخل عليهم، فرأى وجوههم مُشرقة، لم تَبَلْ ثيابهم ولم تتغيّر، ووجد اللّوح على باب الكهف، وفيه عدّهم وتاريخُ يومهم، فأرسل إلى الملك: بادز، فقد أراك الله آيةً للعالمين، وجاء الملك فدخل عليهم الكهف واعتنقهم وبكوا جميعاً،

ثم قالوا: نستودعك الله.

ثم عادوا إلى مضاجعهم وناموا، فتوقى الله نفوسهم، وأمر الملك أن يتخذ لكل واحد منهم تابوت من ذهب، فرآهم في منامه وهم يقولون: لا تفعل هذا، فنحن من التراب خلقنا، وإليه نعود، فاتركنا على حالنا، فتركهم وبنى عليهم مسجداً، وصنع لهم عيداً في كل سنة، وهم من الحواريين<sup>(١)</sup>.

ومنهم أصحاب يس، قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس: ١٤]. اتفقوا على أنهما أرسلتا إلى أنطاكية فكذبوهما ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ والثالث: شمعون، وقيل: سمعان.

### ذكر القصة

كان ملك أنطاكية يعبد الأوثان، فلما قرباً من أنطاكية إذا بشيخ يرعى غنماً، وهو حبيب التجار، فسلما عليه فقال: من أنتم؟ قالوا: رسولا عيسى المسيح، قال: وما جاء بكما؟ قالوا: ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن. قال: أمعكما آية؟ قالوا: نعم، نشفي الأكمه والأبرص بإذن الله. فقال حبيب: إن لي ابناً صاحب فراش منذ سنين، وانطلق بهما إلى منزله، فمسحا أيديهما عليه، فقام صحيحاً بإذن الله.

ثم شفيا خلقاً عظيماً، وبلغ الملك، فاستدعاهما وقال: من أنتما؟ فقالا له مثل ما قالنا لحبيب، فقال: قوما حتى أنظر في أمركما، وقيل: إنهما لم يصلتا إلى الملك، بل أقاما عند حبيب النجار وكان قرّازاً.

فركب الملك يوماً، فوقفا له، وكبّرا وذكرا الله، فغضب، وأمر فجلد كل واحد منهما مئة جلدة وحسباً، فحينئذ بعث عيسى عليه السلام شمعون رأس الحواريين على إثرهما لينصّرهما، فلما وصل إلى أنطاكية دخل متخفياً، يؤنس حاشية الملك، حتى أنسوا به، وأعجبهم عقله، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعا فاعجبه وأنس به.

فقال له يوماً: أيها الملك، بلغني أنك ضربت رجلين وسجنتهما حين دعواك إلى

(١) ذكر قصتهم الطبري في تفسيره ١٥/١٦٢-١٧٦، وتاريخه ٢/٩٥، وانظر عرائس المجالس ٤١٤-٤٣٢، والمنتظم ١٥١/٢-١٥٣.

دينهما، فهل كلمتهما؟ قال: لا، حال الغضب بيني وبينهما، قال: فإن رأى الملك أن يحضرهما ويسمع كلامهما، فدعاهما، فقال لهما شمعون: من أرسلكما؟ فقالا: الذي خلق كل شيء، وليس له شريك، فقال: صفاه وأجزا، قال: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، قال: فما آيتكما؟ قال: نبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

فأمر الملك، فجيء بـبُغلام مطموس العينين، فدعوا الله فانشق موضع عينيه، فأخذا بُدقتين من طين، فوضعاهما موضع عينيه، فصارتا مُقلتين، فأبصر بهما، فعجب الملك، فقال له شمعون: إن أنت سألت صنمك أن يفعل مثل هذا كان له ولك الشرف، فقال له الملك: ما منك سرّ، إن إلها الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضرب ولا ينفع، ثم قال الملك للرجلين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت أمنا [به وبكما].

وكان شمعون يظهر للملك أنه على دينه، وكان قد مات ابن دهقان منذ سبعة أيام، فجاؤا به وقد أروح، فسألا الله فأحياه، فقام ينفذ الثراب عن رأسه ويقول: منذ مت وإلى الآن أنا في سبعة أودية من نار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فأمنوا بالله، ثم قال: قد فتحت أبواب السماء، ونزل منها شاب حتى يشفع لهؤلاء الثلاثة، وأشار إلى الرسولين وشمعون، فأمن الملك ومعه خلق كثير، وكفر آرون.

وقال مقاتل: لم يؤمن الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، وبلغ حبيب بن إسرائيل النجار قصتهم - وكان رجلاً صالحاً متصدقاً مؤمناً، يعبد الله سرّاً، وكان بيته بعيداً عن المدينة - فأقبل يسعى ويقول: ﴿يَقْوِمُوا أَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ، أَتَعْبُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠-٢١] فلما قال ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد، فوطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُهُ<sup>(١)</sup> من دُبره، ورموه بالحجارة وهو يقول: [اللهم] اهد قومي، حتى مات. فعلقوه على سور البلد، فأوجب الله له الجنة، فلما دخلها قال: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٢٦] الآية، فهو فيها حيٌّ يرزق قد آمن أسقام الدنيا وأوصابها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فلما قتلوه، أمر الله جبريل فأخذ بعضادتي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحة فحمدوا وصاروا رماداً، المدينة وجميع ما فيها من بني آدم، والمواشي والمالك، ولم يبق لهم باقية.

(١) القُصْبُ: اسم للأمعاء كلها. اللسان (قصب).

وكانت القصّة في أيام ملوك الطوائف في حياة عيسى عليه السلام، وقيل: بعد رَفْعِهِ<sup>(١)</sup>.

### فصل في ذكر جماعة من القدماء

فمنهم خليفة موسى عليه السلام، كان بنو إسرائيل استخلفوا عليهم خليفة بعد موسى عليه السلام، فقام يُصَلِّي في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ فوق بيت المقدس، فذكر أموراً كان صنَعها، فتدلَّى<sup>(٢)</sup> بسبب، فأصبح السبب معلقاً في المسجد.

وانطلق، فأتى على قوم يَضْرِبُونَ اللَّبْنَ، فلبَّن معهم، وكان يأكل من عمل يده، فرفع ذلك العُمَّال إلى قَهْرَمَانِهِمْ، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، فجاءه القهرمان بنفسه إليه، فلما رآه فرَّ، فاتَّبَعَهُ وقال: إني لأظنُّ أني لاحقٌ بك، فليحقه، فعبدا الله حتى ماتا برُمَيْلَةٍ مِصْر.

ومنهم ابن الملك الذي تَزَهَّد، كان رجل من ملوك بني إسرائيل قد أُعْطِيَ طَوْلَ العُمر، وكثرة المال والولد، وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس [ثياب] الشَّعر، ولحق بالجمال، وساح في الأرض يأكل من بقولها وشجرها حتى يموت، ففعل ذلك جماعةً منهم واحداً بعد واحد حتى تتابعوا على ذلك، فأصاب ولدٌ على كِبَر، فدعا قومه وقال: إني قد أصبتُ هذا الولد على الكِبَر وقد تَرَوْن شَفَقَتِي عليكم، وأخاف أن يتبع سُنَّة إخوته، فحبِّبوا إليه الدنيا عسى أن يبقى بعدي لكم.

فبنوا له حائطاً فرسخاً في فرسخ فكان فيه دهرأ، ثم ركب يوماً، فرأى الحائط فقال: إني لأحسب أن وراء هذا الحائط أناساً وعالماً آخر، أخرجوني ألقى الناس، وأزددُ علماً، فأخبر أبوه بذلك فجزع وقال: اجمعوا عليه كلَّ لهوٍ ولعب، ففعلوا.

ثم ركب في السنة الثانية. وقال: لا بُدَّ من الخروج. فأخرجوه على عَجَلَةٍ مُكَلَّلَةٍ بالدُرِّ والياقوت والذهب والزَّبَرَجَد، والناس حوله، فبينما هو يسير إذ مرَّ برجل مُبْتَلَى، فقال ما هذا؟ قالوا: مُبْتَلَى قال: أئصِبُ هذا أناساً دون أناس، أو كلُّ خائفٍ منه؟ قالوا: بل كلُّ خائفٍ منه، قال: وأنا فيما أنا فيه من السُّلطان؟ قالوا: نعم، قال: أفَّ

(١) تفسير البغوي ٤/٧-١١، وما بين معكوفين منه، وانظر قصص الأنبياء للشعلي ٤٠٨-٤١٠، والبداية والنهاية ٢/١٠-١٥.

(٢) في النسخ: فبكى، وهو تصحيف، والمثبت من التوابين ٧٤، وقد ورد هذا الخبر من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً في المسند (٤٣١٢)، وانظر المنتظم ٢/١٨٤، السبب: الحبل.